

ملتوى التفكير ، معقد الأداء . . . وضربوا لذلك مثلاً . . .  
أبا الطيب المتنبي ، وأبا العلاء المعري . . . فلم يفتنى أن أعارضهم  
بأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي . . .  
وهكذا ننتقل فجأة إلى قضية أدبية طريفة . . . ليست أقل  
قيمة من تلك القضية الشائكة . . . قضية وحدة الوجود . . .  
والعياذ بالله !

إن إخواننا هؤلاء ، يزعمون أنه لا ضرورة مطلقاً لأن يتعمق  
الشاعر في ثقافته ، لأن ذلك يؤثر من غير شك في شاعريته ،  
ويجعله يُضَمَّن شعره خطرات علمية ( باردة ! ) إذا كانت  
ثقافته العميقة تلك ثقافة علمية ، أو خطرات فلسفية ( حارة ! )  
إذا كان ممن يدمنون النظر في آراء الفلاسفة ومخططاتهم . . .  
فإن كانت ثقافته لفظية ، من نوع ثقافة العجاج ورؤية وعقبة  
وأبي العلاء ، ترك هذا في شعره ذلك المرض الأسلوبى المنقل  
بجوشى الألفاظ وغريب التعابير ، مما يصرف القراء عنه ؛  
ويزهده عشاق الشعر فيه . . . وذكرنا حالات غير هذه ، وراحوا  
يضربون لكل حالة منها أمثالا تجعل رأيهم وجيهاً ، وتمكسبه  
قوة خداعة ذات بريق

فهل ما ذهبوا إليه من ذلك كله حق ؟ وهل تطبيقاتهم  
صحيحة ؟ لقد ذكرنا المتنبي والمعري فيمن ذكروا من الشعراء  
الذين أنلقت ثقافتهم شاعريتهم . فهل من الحق أن المتنبي  
والمعري قد أنلقا شعرهما بما كانا يتعمدانه من تضمينه ألوان  
الثقافات التي كانا يمتازان بها

لقد نشأ المتنبي في بيئة شيعية ، وتعلم في إحدى مدارس  
الشيعة بالكوفة ، وكان لهذا السبب من أوسع الناس إلماً  
بتاريخ الفرق الإسلامية وأحوالها ومعتقداتها . وذهب بعض  
مؤرخي الأدب العربي ، ومنهم الأستاذ ماسينيون والدكتور  
طه حسين ، إلى أن المتنبي لم يكن شيعياً خصب ، بل كان  
قرمطياً ، وقرمطياً متطرفاً . وأن قرمطيته بدت في أنفاظه  
وتعبيراته وأفكاره . ويحدثنا الدكتور طه عن ذلك حديثاً طلياً  
في كتابه « مع المتنبي » . وكما بدا التشيع في شعره ، بدا  
التصوف كذلك ، فهو يستعمل طرق الأداء عند التصوفة ،  
ويأتى في شعره وأخيلته بكثير من أوهامهم ومعتقداتهم ، ويعدج

## ثقافة الشعراء

### وأثرها في شعرة

#### للأستاذ دريني خشبة

ظن بعض إخواننا الشعراء أننا قصدناهم بمقالنا الذي رجونا  
شعراء الشباب فيه أن يعنوا بثقافتهم الخاصة حتى يستطيعوا أن  
يحسنوا الاضطلاع بالنهضة التي نطمح أن تتم للشعر العربي الحديث  
على أيديهم . . . وإخواننا هؤلاء مخطئون ، لأنهم الآن في  
الذروة من ثقافتهم التي أوشكت أن تمهد لهم الزعامة في الشعر  
المعري الحديث ، وإن كانوا في نظرنا مع ذلك لم يؤدوا لهذا  
الشعر جزءاً واحداً من مائة جزء مما نصبوا إليه ، حتى يكون لنا  
شعر لا نخجل من المباهاة به وسط أنواع الشعر العالمى

وسخط بعض إخواننا من شعراء الشباب الآخرين ، وعدوا  
الروح التي أملت علينا مقالنا نكوصاً عما أخذنا به أنفسنا من  
الدفاع عن شعراء الشباب ، ونسوا أننا لم نك يوماً مكابرين حتى  
نعمض أعيننا عما في كثير من شعرهم من الطراوة والفجاجة  
والضنف . . . الشعر الذي لا يمكن أن يحدث نهضة طالما أن  
أصحابه معجبون به . . . يظنون أنه بلغ الدرجة القصوى من  
الأناقة والتجويد ، وأوفى على الغاية من الذوق والحراة والشاعرية  
ورضى فريق ثالث متواضع فاقنى الكثير من الكتب التي  
أشرنا إليها وأخذ يستوعب ما فيها ، ويصلح به شأنه ، وكان  
في اعترافهم بما لسناء في بعضهم من قلة الاطلاع على أشعار  
العرب في مختلف المصور لون من عظمة النفس التي تفتقر إليها  
نهضتنا الأدبية التي نرجو أن تبلغ أوجها على أيديهم إن شاء الله  
غير أن فريقاً رابعاً من أتبه شعرائنا - الشباب والشيوخ -  
الذين جمتنا بهم صدفة من أسمد الصدف ، لم يوافقنا على ما ندعو  
إليه من وجوب أن يكون الشاعر مثقفاً تلك الثقافة العميقة التي  
لا تنبئ - فيما ذهبوا إليه - إلا للملاءم والفلاسفة والكتاب . . .  
وذلك ، أن تلك الثقافة العميقة ، فيما ذهبوا إليه أيضاً ، قد تجنى  
على شاعرية الشاعر فقدهم له جان الأسلوب ، ناني المبارة ،

أنهم مدحاً قد لا يسيغه المسلم الحق إلا موجهاً إلى الله سبحانه . ولم يبال المتنبي أن مدح الأوراجي<sup>(١)</sup> الصوفي الذي كان له في مأساة الحلاج النصيب الأوفى ، وأن يمدحه بإحدى روايته التي مطلعها :  
أمن ازديارك في الدجى الرقباء

إذ حيث كنت من الظلام ضياء  
ولا يبالي أن ييوج في كثير من قصائده بما لعله كان يؤمن به من الحلول والتناسخ ... ولست أدري ماذا يقصد ذلك في المتنبي العظيم كشاعر من شعراء الصف الأول بين شعراء العرب ؟ ماذا يعيب الشاعر أن يمتلي ذهنه بلون ما من ألوان الثقافة فيكون له صدى في شعره يصدر عنه عفواً وعن غير عمد ؟ قد يكون إخواننا الأعزاء على حق حين يلاحظون على المتنبي نعمته الإتيان في شعره بالقرب الحوشي من الألفاظ ، والغريب الشاذ من الجرع والصفات ... ولكن ما حيلة المتنبي في عصره الذي كان يزخر بملء اللغة وفقهاؤها وشيوخ النحو والصرف والبلاغة ؟ لقد كان أكثر هؤلاء العلماء الأعلام يناصبون المتنبي المراء ، وينفسون عليه صرخته الأدبية التي لم يتمتع بها شاعر من قبل ، فكانوا يتعقبون شعره ، ويقفون له بالرصاد ، عسى أن يسقطوا له على غلطة ، أو أن يمدوا عليه زلة ، وكان المتنبي يعرف ذلك منهم ، فكان يعبث بهم ، ويغلو في هذا العبث ، وينصب لهم من عمره الفصحى نفاحاً تمسك بهم كما تمسك الذراك التمالب

على أن أحداً من هؤلاء العلماء الأعلام لم يكن أرسخ في علوم العربية كعبدك من أبي الطيب . ففي ( معاهد التنصيص ) - ج ١ ص ١١ - « أن الشيخ أبا علي الفارسي قال ( المتنبي ) يوماً : كم لنا من الجوع على وزن فعلى ؟ فقال المتنبي في الحال : حجلى وطرني ، قال الشيخ أبو علي ، فطالمت في كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهنين الجمين ثالثاً فلم أجد ا . وفي خزانة الأدب للبغدادي ( ج ١ ص ٣٨٠ ) أن ابن العميد قرأ على المتنبي كتاباً من كتب اللغة

ولعل الذي كان يعيبه هؤلاء العلماء الأعلام على المتنبي لم يكن جريمه ، أو لم يكن شيء منه ، مما يعاب على سيد شعراء العربية غير مدافع .. فقد كان المتنبي كوفياً ، وكان لذلك

(١) هو أبو علي هرون بن عبد العزيز الأوراجي التصوف .

يخرج في النحو على سنن البصريين وفي الأنصاف ( طبع أوروبا ) تفصيل لكثير مما كان موضع خلاف بين المدرستين بصدد أشعار المتنبي ، وقد أجاد الأتباري مؤلف ذلك الكتاب القيم في توضيح ذلك إجابة تامة نافعة تبرى المتنبي مما أخذه عليه خصومه وما لا يزال خصومه في عصرنا الحديث يأخذونه عليه من مثل ذلك ، مما يتوهونه خطأ

وكما كان المتنبي خصوم من النحويين وفقهاء اللغة ، كذلك كان له خصوم كثيرون من المتكلمين ، فكان يداعبهم تارة ، ويداعب فقهاء المسلمين تارة أخرى . وقد عنى الدكتور طه بهذه المداعبات في كتابه « مع المتنبي » عنابة كبيرة .. وكانت مداعباته تلك تثير بين أرائك وهؤلاء حرباً فكرية طريفة في الزمن الذي كانت تجري فيه ... فكيف نعددها اليوم من المآخذ التي تخصبها على المتنبي ، ونعيب بها شعره ؟

وكان المتنبي - لتشيده - أو لفرمطيته - ولتقلبه في بلاد المسلمين من دون العراق الذي كانت غالبية أهله تفتن بأساليب المتنبي وتشغف بها ، لكثرة ما كان ينتشر فيها من الفرق وأصحاب الفلسفات الغالية ، يؤثر استعمال الرمز ، ولا سيما إذا كان ينشد في مجلس من السنين ، وهو في ذلك تلميذ للمتصوفة ، إلا أنه غداً أستاذهم . وبالأحرى أستاذ شعرائهم . وليس للمتصوفة رمز ، أو إشارة ، لم يستخدما المتنبي ، إلا ما ندر . والذي يدمن قراءة أشعار ابن الفارض يشعر من فوره بتأثر شيخ شعراء المتصوفة بأستاذه المتنبي ، ولا سيما في استعمال المذهب الرزقي ، وفي كثرة استخدام التصغير ...

ولست أدري ماذا يعاب من ذلك كله على المتنبي ، بوصفه شاعراً كان يعيش في ظروف خاصة ، وكان يخضع لمقومات بيئة خاصة

على أن الذي تورط فيه إخواننا مما ذهبوا إلى أنه من عيوب ثقافة المتنبي العميقة التي أنتجت شعره ، وخرجت به من جنة الشعر إلى جحيم الفلسفة ، تلك الحكمة التي تثرها في قصائده ، وكان فيها تلميذاً غير موفق لأرسطو ا

وذكروا أن الصاحب بن عباد ألف لفجر الدولة رسالة أحصى فيها للمتنبي ثلثمائة وسبعين بيتاً تجرى بحرى الأمثال ؛